

بين الواقع والتمثيل

أثار مسلسل فارس بلا جواد غضب الولايات المتحدة والمسماة اسرائيل لأنه برأيهم معاد للسامية يثير الكراهية والحق.

هلاً تسأل الغاضبون إذا ما كنا بحاجة الى مسلسل كي نكره ونحقد؟! . . . هل يمكن لعمل تخيلي, مهما علا, ان يفعل في النفوس أكثر مما يفعله الواقع المعيش ؟ هل ان المسلسل الحي الذي ينفذه جنود وسياسيو المسماة اسرائيل كل يوم في نابلس ورام الله ورفح وجنين من قتل للاطفال والنساء والعجزة غير كاف لإثارة الحقد والكره؟! . المسلسل اليومي الناضح عداء ليس للانسان فقط بل للشجر والتربة والمياه هو أقوى ألف مرة في إثارة الحقد من مسلسل تخيلي يعتمد على جذر تاريخي قديم. إنهم يصنعون الحقد صناعة ماهرة كل يوم, يصنعونه في الأزقة وهم يحرمون الاطفال من طفولتهم, في حقول البرتقال والزيتون وهم يقتلعون الاشجار ويصادرون حبات الزيتون, في الساحات وهم يقتادون الشباب والصبايا الى الاعتقال , في المساجد وهم يمنعون المؤمنين من إمامتها. يزرعون الحقد ويتولونه بالرعاية يسمونه بأقوى المقويات الكيماوية فيكبر ويتعمق بين ليلة وضحاها كحبة الفاصوليا العجيبة في حكايا الاطفال.

لن تزيد معاصينا إن هم رمونا بالاسامية, فقد رموا من قبلنا كثيرين. نعوم شومسكي اليهودي الاميركي الذي خصص الكثير من بحوثه في سبيل بعث اللغة العبرية, هو لاسامي لانه قال إنه "لا يحق للاسرائيليين اتخاذ إجراءات وحشية ضد الفلسطينيين لانه سبق للاولين ان كانوا مضطهدين". ونورمان فنكلنشتاين الاستاذ اليهودي في جامعة نيويورك وابن ابوين نجوا من غيتو وارسو في الحرب العالمية الثانية هو ايضا من "اعداء السامية" لا لشيء إلا لانه كتب بموضوعية عن "صناعة الهولوكست" وفرق في كتابه بين الهولوكست النازي كحادثة تاريخية وبين ايديولوجيا الهولوكوست التي حولت ما جرى الى مصدر ابتزاز سياسي. بشار الاسد "السامي" الانتماء, بالمعنى الاصلي للكلمة, والذي احتل الاسرائيليون جولانته وشرذوا مليوناً من ابناء جلدته عام ١٩٤٨, ولا يزالون, لاسامي, لا لشيء إلا لانه قال عند زيارة البابا الى بلاده ان ما يفعله الاسرائيليون اليوم بالشعب الفلسطيني هو نفس ما فعلوه بالمسيح وتلاميذه قبل الفي سنة على نفس الارض.

قد يكون مسلسل فارس بلا جواد من أرقى المسلسلات أو أحطها, قد يكون كما عودنا بطله محمد صبحي في أعماله السابقة خطاب وعي وتنوير وتثوير أو لا يكون, ولكنه امسى من خلال هذه العدائية التي ووجه بها اجمل المسلسلات التلفزيونية وقد توجّه الشارع العربي, حتى قبل ان يرى حلقاته, ملكا معظما بغض النظر عما فيه من قيم فكرية وفنية. توجناه ملكا لانه أغضب أميركا والمسماة اسرائيل , وكل ما يغضب هذين التوأمين هو عند معظما جميل ومقدس وعظيم

لن يقدم او يؤخر مسلسل , مهما بلغ مستواه, من قيمة حقدنا, فقد قاموا هم بالمهمة على اكمل وجه.

نجمه حبيب

٢٠٠٢/١١/١٠

فعل اعتراف

جاءت عملية الخليل النوعية، كي لا نقول البطولية فنتهم بالارهاب، ونحن لاهين او متلهين عن معاناتكم. جلجلت أجراس الحرب على العراق فعلا صليها كل صليل. تجاذبتها وسائل إعلامنا بين مؤيد ومعارض بين مشفق وشامت بين ناصح ومصطنع النصح فغصت صحفنا وإذاعاتنا من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ببروقها ورعودها العواقر، وانتزع اسامة بن لادن وشريطه بعض هذه الجلبة فكندا في هذا الصخب أن ننساكم، إلا ان صوتكم كان أجل من ان يخمد وإيمانكم أقوى من تطغى عليه جهالة.

نحن لا نلوم أحدا على ذلك، فلاوعينا متواطئ أيضا. هو يريدنا ان ننتهى عنكم لإن معاناتكم تخرج ضميرنا الجمعي من بيروت الى دمشق الى القاهرة الى طرابلس الى سدي الى مالبورن وما عداها. هو يريدنا ان نتناسى اباؤكم وهم يسعون بقدرية لا بد منها بين الموت والموت لتأمين رغيف الخبز وجرعة الماء لعوائلها. . . وامهاتكم وهن يشيعن كل يوم فلذات اكباد افترسها الذئب كحمان النهر البرينة. . . وزيتونكم الذي تقتلعه غصبة الوحش البربرية، وظهر انسانيتم الذي تنتهك كل يوم عند المعابر والحواجر الجلفة. . .

لا تلومونا فنحن لا نستطيع أن نفعل شيئا إزاء معاناتكم إلا التعاطف العاجز؟ فكل ما تعلمناه أيام الرومانسية الثورية عن إرادة الجماهير وقدرتها فات زمانه وبات هباء منثورا. أيدينا مكبلت بتبريرات بعضها واقعي وبعضها من صنع الضمير المنقل بالذئب. تبريرات نحاول من ورائها أن نخفف من وطأة هذا الشعور بالعجز.

انتم الإرادة الحقيقية . أنتم حاملي صلباننا وخطايانا. صمودكم هو الماء المقدس الذي يتطهر به عجزنا. توحكم، لو تم، هو المرأة التي نرى فيه مهانة تشرذمنا، ونضال انتفاضتكم بما فيها عملية الخليل المشرفة هي البارقة الوحيدة في نؤمة كهفنا المعتم

أغفروا لنا عجزنا وشردمتنا وجمودنا
أذكرونا في نعيمكم الذي لا بد آت ولو طال زمن انتظاره

نجمه حبيب

١٧ تشرين الثاني ٢٠٠٢

مجانين لا يثيرون الابتسام

في مخيّلنا الشعبي صورة محببة لمجانين نتداول طرائفهم ونعجب بحكمتهم الفطرية التي تلتصق "كنغر عبلّة" فتفاجئنا وتطربنا. تحضرني الآن من جملة ما تحضر صورة أخوت شانيه ومواقفه مع الامير بشير الشهابي الثاني والشخصية الفلكلورية الرحبانية "نعوم الهبيله", (الهبيلة والاخوت في لهجتنا المحلية هو المجنون). إلا أنني تعرّفت لأول مرة على نوع مميز من الجنون من خلال قصة قصيرة للمبدع غسان كنفاني. تبدأ القصة بجملة قولية تنقل الخبر التالي: "نقلت الانباء أن جنديا على الحدود صب فجأة رصاص رشاشه على الارض المحنلة فاقتيد الى مستشفى الامراض العقلية": ثم توالى هذا النوع المختلف من الجنون. وابتدأت بعدها تظهر قصص المجانين الذين يطلقون النار على شاكلة بطل غسان كنفاني. فسمعنا قبل عشرين عاما بقصة الجندي المصري سليمان خاطر الذي أطلق النار على سياح اسرائيليين في سيناء وقد اتهمته السلطات المصرية بالجنون بدليل ان الرجل شنق نفسه في زنارته. ثم كانت قصة الجندي الاردني قبل بضع سنوات الذي هيجه وجود اسرائيليين داخل حدود بلاده فأطلق النار عليهم, لا شك أن الرجل اتهم يومها بالجنون.

اليوم عاد هذا النوع من المجانين للظهور في بلد لم نكن نتوقع ان يظهرها فيها مطلقا.

نهاية الاسبوع الماضي أطلق ضابط شرطة كويتي النار على جنديين أمريكيين كانا يتجولان في العاصمة بملابسهما المدنية فأصابهما باصابات خطيرة فقالت الحكومة الكويتية أن الضابط المذكور يعاني من اضطرابات نفسية وقد تمت معالجته في إحدى المستشفيات الكويتية. قبلها بعدة أسابيع أطلق شابان كويتيان النار على قوات المارينز المتواجدين في جزيرة فيلكه أثناء قيامهم بمناورات عسكرية فقتلا جنديا وأصابا آخر بجروح. الجنديان المذكوران أعلاه أنس الذكري وجاسم الحربي لم يتح لهما شرف الانتماء الى فئة المجانين فقد قتلا قبل توجيه التهم اليهما. ويقول خبر آخر ان شابا كويتيا اقتحم حاجز الامم المتحدة بسيارته متجها صوب العراق فالقي القبض عليه وقيل أنه يعاني اضطرابات نفسية.

يقال أيضا أن هذه الظاهرة بدأت تظهر عوارضها في المملكة العربية السعودية

الغريب في الامر أن هذا النوع من المجانين لا يثير في نفسي وعقلي وقلبي ما يثيره "أخوت شانيه" و"نعوم الهبيله" و"الكندي" من إعجاب ممزوج بالابتسام. إنهم يثيرون مشاعر من نوع مختلف. مشاعر لها علاقة بالكبرياء والانفة والاعتزاز. ترى هل تشاركني هذا المشاعر "الهدامة" عزيزي القارئ؟! ..

نجمه حبيب

٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٢

وجه استراليا الجميل

من شاهد المظاهرة التي جرت في سبتي السبت الفائت شاهد فيها وجهها يختلف عما عرفه في السنوات الاخيرة من وجه "هانسوني" متعصب ينكر باستراليا البيضاء. في هذه المظاهرة الاحتجاجية التي جاوز عدد المشاركين فيها الخمس عشرة الاف نسمة, بدت استراليا ذا وجه حضاري جميل رفدنا بالتفاؤل وأكد لنا أن الطفرة العنصرية التي نعيشها هذه الايام ليست سوى طفح جلدي عابر على جسد هذا البلد الجميل المعافى.

خمسة عشر الاف نسمة لم يكن فيها غلبة للون على لون ولا لثقافة على ثقافة ولا لاثنية على اخرى. الاف اجتمعت فيها الملامح الانكلوساكسونية الى جانب الاوروبية والشرق اوسطية والافريقية والاسيوية والعربية والابوريجينية في وحدة متناغمة عبرت عن نسيج هذا المجتمع المتعدد الثقافات. لا , لم يكون الحضور ذا غالبية عربية او اسلامية كما شئت بعض وسائل الاعلام ان تظهر رغم ان المناسبة عربية واسلامية (احتجاج على الحرب على العراق) . في هذه المظاهرة اجتمع المنتورون من كل عرق ولون ومؤسسة إنسانية وتكلموا بلسان واحد هو لسان الانسانية في خصائصها البكر, خصائص الخير والحق والجمال. تكلم فيها الشيخ والمطران ورجل السياسة والشاعر والمطرب والموسيقي بلسان واحد هو لسان المؤمن بحق كل البشر في العيش الحر الكريم ورفض الظلم على أي من بني البشر وقع. في هذه المظاهرة مشى الحجاب الى جانب "الشورت" دون أن يتحسس هذا من ذاك, ومشت الدشداشة الى جانب الكتف العاري المغطى بالوشم دون ان ينظر احدهما شئرا الى رفيقه. وتعالق هتافات الاحتجاج بضم واحد من الاحزاب العلمانية الملحدة وتلك المؤمنة المتدينة من إسلام ومسيحية دون ان تدين واحدها الاخرى. كل نقيض قبل نقيضه. قبله على سجيته دون تصنع ولا ادعاء. جمعهم جميعا هدف واحد هو قولة حق بحق الطفل والمرأة والشيخ في العراق. كم كان رائعا هذا اللقاء الاسترالي المتناغم وكم من سحابة سوداء ازاحها عن القلب. لقد طماننا أن مستقبل اجيالنا سيكون مشرقا ما دام في هذا المجتمع مثل هذا التسامح الواعي والانسانية التي تتحسس آلام البشر الى اي بقعة من العالم انتموا . لقد كانت تظاهرة الامس تظاهرة التوحد والوعي الاستراليين الى جانب هدفها الاول الذي يحتج على الحرب على العراق وكم كان جميل هذا الاثر الجانبي

أمر واحد حيرني في هذه التظاهرة الانسانية النبيلة هو شبه غياب الوجه العربي عنها, إذ لم تزد نسبة هذا الحضور في أفضل صورته على الواحد في المئة, عكس ما ادعته بعض وسائل الاعلام. بضع مئات كي لا اتحامل وأقول بضع عشرات لونت المظاهرة ولكنها لم تشكل غلبتها . ترى أين كان العرب ؟ هل هم تغيّبوا عن قصد ام ان غيابهم كان مجرد لامبالاة أم ان السبت وما يمور من حفلات "باربيكيو" عطل حضور جاليتنا الكريمة؟

نجمه حبيب

٣ تشرين الثاني ٢٠٠٢

رندا غازي تحلم بفلسطين

نحن لا نعرف كثيرا عن رنده غازي اليا فعة المصرية التي تعيش في إيطاليا وتكتب بلغتها. قد تكون ابنة الخمسة عشر ربيعا لا تعرف بلدها إلا لماما ولا تعرف فلسطين البتة. قد تكون لا تعرف من لغتها العربية إلا القليل القليل او لا تعرف شيئا على الاطلاق. ولكن لا بد ان لها عقلا وقلبا وضميرا عربيا جعلها تتحسس آلام الشباب الفلسطينيين في مثل سنها وتترجم إحساسها رواية ادبية كتبتها بالاطالية اولا ثم بالفرنسية، رواية أقلقت الصهيونية العالمية من نيويورك الى باريس فحملت عليها وحاربناها وحاولت منع انتشارها فطالب مركز سيمون فيزنثال بسحب الكتاب من السوق واحتجت الرابطة الدولية لمكافحة الالاسامية (ليكنز) لدى وزير الخارجية والعدل الفرنسيين وقامت مظاهرة امام دار النشر الفرنسية فلما ريو تندر بالكتاب وصاحبته

وقفت متسائلة وانا أقرأ الخبر ويهتز له كياني ترى ما الذي دفع رنده ابنة الخمسة عشر ربيعا الى سلوك هذا الدرب المليء بالاشواك وهي البعيدة الاف الكيلومترات عن موقع الحدث وهي المترببة في ثقافة ولغة بعيدتين كل البعد عن لغة وثقافة أبطال روايتها. ما هي العواطف والانفعالات التي جاشت في صدر هذه الطفلة وجعلتها تتركب هذه الموجة الصعبة؟ حتما لم يكن وراء عمل رنده شهرة تسعى اليها وإلا لكانت اختارت سبيلا غير هذا السبيل وايضا لم تكن ما عانته مجرد مشاعر انسانية في المطلق فالبشرية تموج بالمآسي وما أكثرها من مجاعات افريقيا الى محاربة السرطان والايذ الى مسالة حقوق المرأة والطفل المهذورة في اكثر من بلد وقارة وغيرها كثير. لا بد ان الذي حرك في رنده هذا الحس هي مشاعر الانتماء الى هؤلاء الناس وتحسس الأهم. ورنده في عملها هذا ردت على كل الذين نعوا موات المشروع العروبي الى الابد؟ أليس في هذا العمل دليل على أن نطفة العروبة الصافية النقية من كل تعصب عرقي وجغرافي وديني لا تزال تنبض في الضمائر والارحام ولم تقو الانتكاسات والاحباطات على وأدها؟ أليس في عمل رنده تأكيدا على أنه ليس من الضروري ان تكون ذا لسان عربي لتكون عربيا ولا ضرورة ان تكون من قبيلة تغلب وغسان ومرة لتكون عربيا ولا ضرورة لتعيش في بيروت او القاهرة لتكون عربيا؟! . . . بل يكفيك فقط أن تشعر بالانتماء لهذه الثقافة وأهلها، فتتألم لألمهم، وتفرح لفرحهم لتكون منهم، سواء كنت عربيا او كرديا او آشوريا أو امازيغيا. وسواء تكلمت الايطالية او الفرنسية او الانكليزية، وسواء كان جسدك في سديني او موسكو او القدس. اعتقد ان في عمل رنده وامثالها إجابة على كل المشككين بقدرة هذا المشروع على توحدنا والنهوض بنا من كبوتنا الثقافية والاجتماعية والسياسية

"الحلم بفلسطين" رواية موجهة الى القراء المراهقين. صدرت باللغة الايطالية في آذار /مارس الماضي للمصرية رندا غازي (10) وقامت مؤخرا دار فلما ريو بنشرها بالفرنسية. تحكي الرواية قصة شباب فلسطينيين محاصرين في غزة خلال الانتفاضة وإقدام أحدهم على تفجير نفسه وقتل خمسة جنود اسرائيليين. تعمل المؤسسات الصهيونية على مختلف الصعد على سحب الكتاب من التداول بحجة انه يشجع على الارهاب ويروج للاعمال الاستشهادية

نجمه حبيب

١٤ كانون الأول ٢٠٠٢

ظلم ذوي القربى

وظلم ذوي القربى اشد على النفس / من وقع الحسام المهند

وجع عاناه قبل الفي عام الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد ويعانيه اليوم شعب بأكمله هو الشعب الفلسطيني إذ أن ما طال هذا الشعب من اجتراح لكرامته وامتهان لانسانيته على أيدي بعض إخوانه يعادل ما طاله على أيدي أعدائه. ولعل أشد ما ألم الفلسطينيين إتهامهم في أكثر من مرحلة وعلى أيدي أكثر من فئة انهم يسعون للتوطين فحوربوا واضطروا الى توجيه بنادقهم الى غير هدفها الحقيقي في معركة بل معارك جانبية في هذا البلد وذلك على هذه الفرضية السانجة التي اعتبرت ان الفلسطينيين يريدون ان يستبدلوا وطننا أضعوه او باعوه بأخر لا حق لهم فيه. وقد أثبتت الايام براءة الفلسطينيين من هذا الذنب براءة الذئب من دم يوسف وأثبتت صمود الفلسطينيين في وجه كل مؤمرات الترحيل (الترنسفير كما شرع في تسميتها مؤخرا) التي تمارس عليهم من اعنى قوة غاشمة في العالم انهم اصلب واوعى من ان يغرر بهم مغرر , الصهاينة هم دعاة التوطين ومع ذلك وجدوا من يتعاونون معه في محاربة الفلسطينيين من الخائفين من التوطين.

الغريب في الامر ان الاتهام هذا لا يني يطل براسه بين الحين والآخر فيفزع لها بعض المتغابين الذين لا يعرفون كيف يقرأون الشعوب, وقد كان آخرها دعوى توطين الفلسطينيين في شمال العراق. ويسوق الاعلام شواهد لهذه الدعوى فيتكلمون عن تفرغ لمناطق في الشمال العراقي تمهيدا لزرع الفلسطينيين فيها. إن طرح التوطين بهذا الشكل الخبيث يؤجج في النفوس مشاعر الحقد ويسهل عملية الاتهام . إذ فيه يصور الفلسطينيون وكأنما هم بضاعة تستخدم لتغليب مذهبية على مذهبية أو عرقية على أخرى. مرة أخرى يصور الفلسطينيون وكأنهم بضاعة في سوق الدلالة المذهبية.

لقد تناسى المروجون للمشروع والمنبهون منه ان الفلسطينيين ليسوا سلعة يشتريها هذا التاجر وذلك ويخزنها حيث يشاء ولا هم قطيع اغنام يساقون الى الذبح بصمت النعاج, ولا هم جناء يستبيحون ارزاق إخوة لهم ولا خونة باعوا ارضهم ويريدون استبدالها بسواها, ولا سذج لتمرر عليهم امريكا او غيرها مؤامراتهم. لقد قاوم الفلسطينيون ولا يزالون كل مشاريع الترانسفير فصدوا فوق انقاض منازلهم المهدمة وراوضوا في بساتينهم التي اقتلعت اشجارها وانغرسوا في ساحاتهم التي تحولت مقابر لشهداءهم ولم يرحلوا بل ظلوا (على حد قول شاعرهم): على صدورهم باقين كالجدار وفي حلوقهم كقطعة الصبار / جيلا تائرا وراء جيل / ياكلون التراب ولا يرحلون وبالدم الذكي لا يبخلون . . . لقد ادرك الفلسطينيون ان ما فعلوه عام ١٩٤٨ كان خطيئة مميتة ولن يقعوا بها ثانية .لقد راهن العدو الصهيوني على ان الفلسطيني يتقادم الزمن ينسى ارضه , إلا أن رهانه كان خاسرا فالقضية لم ينسها حتى الذين ولدوا وتربوا في المهاجر البعيدة, حتى الجيل الثاني الذي ولد في المنافي أشد إيمانا بقضيتهم من آبائهم وأجدادهم يعملون ويتظاهرون ويقيمون الندوات وينشطون على صفحات الانترنت وغيرها من المنابر الفكرية لخدمة قضيتهم ولا ينسون انهم فلسطينيون ولو حملوا جنسيات أرقى بلدان العالم.

لكل أولئك الخائفين على ان تحل المسألة الفلسطينية على حساب طائفة او اثنية أخرى, أقول: إقرأوا ما يجري

على الارض الفلسطينية. إقرأوا ما يقوله الطفل في رياض الاطفال في بلاد المنافي تابعوا ما يفعله شبابنا في استراليا وبريطانيا وفرنسا تعرفون ان اشرس من حارب التوطين هو الفلسطيني. هذه مسألة فطن اليها الكثيرون وكتب عنها اكثر من إعلامي ومحلل سياسي, أذكر منهم على سبيل المثال مقالا للاستاذ "جورج ناصيف" في صحيفة "النهار" البيروتية يطلب فيه من كل اللبنانيين والعرب الذين اتهموا الفلسطينيين بأنه باع ارضه وسعى الى استبداله بوطن آخر الى الاعتذار وطلب الصفح والغفران من هذا الشعب المكابر الصابر الجلود حتى على ظلم ذوي القربى. كلام جورج ناصيف وامثاله يبلسم الجرح الفلسطيني.

لا احد ينكر ان المعاناة اليومية التي يعيشها الفلسطيني لاجئا محروما من ابسط حقوق الانسان قد تدفع بالبعض للتفتيش عن حلول فردية , فعندما يحرم حامل الوثيقة الفلسطينية من حق العمل مهما كان متواضعا وعندما يحرم من حق التملك وان صادف وتملك بطريقة ما وتحت ظرف استثنائي فانه لا يحق لابنائهم وورثته بما يملكه, عندما لا يقبل الفلسطيني شاهدا بسيطا على عقد بيع , عندها يحاول ان يفتش لنفسه عن مخرج كالسعي الى استحصال الجنسية اللبنانية مثلا, إلا أن الامر لا يكون من باب الطموح السياسي بل لاجل تسهيل الحياة اليومية على نفسه وعياله حتى يحين الفرغ ويعود الى ارضه ووطنه. ولقد وصف الشاعر عباس بيضون في إحدى مقالاته في صحيفة السفير اللبنانية هذه المعاناة فقال : " لست قانونيا . . . ولكني أعرف أن النواب هم المشرعون, والنواب سنوا من وقت قريب, قانونا يقضي باستثناء الفلسطينيين (٢٥٠ ألفا ولدوا في لبنان في غالبيتهم الساحقة) من قانون يسمح للاجانب كافة التملك في لبنان استدرجا للاستثمارات, ٢٥٠ ألفا وربما أكثر من ٩٠% منهم ولدوا هنا وعاشوا دائما هنا ولا يعرفون سوى هذا البلد "وطنا". أعوذ بالله من شر التوطين, زلة لسان لنقل "مكانا" ودعك من الجدل اللغوي. ٢٥٠ ألفا ولدوا ويموتون هنا ولا حق لهم في مسكن او قبر. وهذا حق متاح للاجانب كافة. لن أجادل في حجج النواب السياسية ولكني لا اعرف في أعقاب حرب استثناء واحدة من الجماعات التي شاركت في النار اللبنانية بهذا القدر. كيف يمكن دفعها الى اليأس؟ ألا نخاف من يأسها؟ ألا نخاف من استثنائها على الدولة والسلام والمجتمع؟ لكن النواب هم الذين شرعوا النواب هم الذين يسنون القوانين" (السفير الثقافي, عدد ٢٠ / ٧ / ٢٠٠١) طبعا كل هذه المظالم انما يقصد بها كبح جماح الفلسطيني عن التوطين وكانه المتربص ابدًا لاغتنام الفرصة حين تحين

لا ليس صحيحا ما تدعون, فالفلسطينيون رغم البؤس الذي يعيشون فيه لا يريدون خلاصا مزييفا ولا يطمحون الى التوطين, لا في الاردن ولا في لبنان ولا في العراق ولا في الصحراء المصرية . طموحهم واحد أحد! . . . استرداد ما سلب منهم حتى ولو بعد مئة عام. . . حتى ولو بعد مليون شهيد

نجمه حبيب

٢٠٠٣/١/٣

من الوزير العريضي الى دعاة التيبسيس

في الساحة الاعلامية موجة تيبسية تصورنا، نحن العرب، ضحايا بالجملة والمفرق للعاصفة الامريكية الاتية. تهدف أن تزرع في العقول والقلوب حقيقة ان الغضب الامريكي أت وما من مجال لردّه إلا بالانحناء له وممالاته والصبر على قضائه. لهؤلاء تلمع بين الحين والآخر إشارات من البلد الاصغر لبنان ترد على تيبسهم وتظهر خطأ توجههم. مرة تلو مرة أثبت لبنان انه اقوى الدول العربية واكثرها إصرارا على ثوابته. . . جاءت الاشارة هذه المرة من وزير الاعلام السيد غازي العريضي. وللعريضي مواقف وطنية مشرفة بغض النظر عن مسؤولياته الوزارية. وكعادته لم يخذلنا سيادته عندما امسى في موقع السلطة. بل إنه ظل امينا لقيمه ومبادئه وزاد الى صفحاته البيضاء صفحة جديدة مشرفة وذلك عندما قالها لا صريحة قوية واضحة في وجه المارد الذي "لا يقهر" اميركا. لاؤه هذا تمثلت بعدم رضوخه للإدارة الامريكية ومنعه بث اشربة دعائية امريكية تهدف لتلميع صورة الولايات المتحدة في العيون العربية.

كان الوزير واضحا ونكيا في منعه هذا وخاطب الامريكيين باللغة التي يدعون فهمها. قال لهم لن نبث البرامج لان فيها إشارات تمييز عنصري. وردا على التساؤلات اجاب ان اميركا لن تستطيع إلزام الشعوب بقيمها ولبنان ليس المكان المناسب لحل مشاكل اميركا.

لقد أثلجت صدرنا يا سيادة الوزير، نحن الذين نكاد نقع ضحايا طابور الميثسين، وتكلمت بلسان كل منا عندما نصحت اميركا بالزام نفسها بحقوق الانسان في واشنطن وغوانتانامو ومحاربة الفساد في مؤسساتها قبل ان تعطي الاخرين دروسا في الديمقراطية وحقوق الانسان ومكافحة الفساد. وعندما قلت أن الامريكيين يرفضون الاخر ويرفضون التحاور معه وكل من يعارضهم يعتبرونه عدوا

جميل ومشرف ما قاله الوزير العريضي وبشفي غليل الخلص من العرب الذين يكاد يصيبهم اليأس من حالة البؤس التي نرتع فيها. إلا ان أجمل ما فيه هو هذه الاشارة المتفائلة التي يحملها، الاشارة التي تقول، انه ليس من الضروري ان تكون الاقوى لتصمد في وجه الطوفان بل ان تكون الاكثر إيمانا بموقفك والاكثر استعدادا للدفاع عنه. . . شكرا للاستاذ العريضي وشكرا للبنان الاقوى من كل ضعف.

هنود كنعان الحمر

أيام النزوح الاكبر, إبان نكبة ١٩٤٨ صابرت قلة منا وبقيت في فلسطين. فنبنناها ولمناها ووجهنا اصابع الاتهام اليها . هذه الشريحة الصامدة الباقية شوكة في حلق المحتل والشاهدة على جريمته والدليل على بطلان ما يدعيه من حرية وديموقراطية ومساواة. هؤلاء الذين توافقنا على تسميتهم ب"عرب الداخل" ومؤخرا "عرب اسرائيل", طالهم من ظلمنا وتعسفنا واتهامنا لهم فوق ما طالهم من عدوهم ومغتصب ارضهم . لقد رميناهم بمئات التهم وبقيت نظرتنا اليهم نظرة المشكك والدائن حتى عهد قريب. ولعل اول انفتاح لنا عليهم كان من خلال ما تسرب الينا من قصائد محمود درويش وتوفيق زياد وروايات إميل حبيبي وغيرهم. قبلها كنا نرفض الاعتراف بهم, ثم بدأت معاناتهم تتكشف لنا وبدانا نعلم انهم ليسوا اكثر من هنود حمر يعانون ما عاناه الهندي الاحمر على ايدي الابيض المستعمر الغازي من محاولات اقتلاع وإبادة وتهميش. . . . فالدولة الغازية هنا كما كانت هناك, تضيق على الفلسطينيين في معاشهم قصد دفعهم الى الهجرة ويصمدون. . . يعيشون في بلدهم وأرضهم مواطنين من الدرجة الثانية , يعيشون في مدنهم وقراهم قلة مهمشة لا ينالها إلا القليل مما يطال القرى والمدن التي يسكنها إسرائيليون. يقنن دخول ابناءهم الى الجامعات والاختصاصات وتحرم عليهم بالكامل الكثير منها, يزوجون في المعتقالات لأتفه الاسباب. يتدنس مستوى عمر الفرد منهم نتيجة الاهمال الصحي وسوء المعاملة, ترتفع وفيات الاطفال بينهم نسبة الى غيرهم من الاطفال الاسرائيليين, تفرض عليهم المواطنة الاسرائيلية دون التمتع بكافة حقوقه المواطن. ومع ذلك تستطيع قلة منهم ان تفلت من القبضة الحديدية فتنفذ من خروم الشبك الى بعض نور فيكون لها صوتا سياسيا. فنعرف منهم نوابا أمثال عزمي بشارة والدهامشة وغيرهما, وعوض ان نبارك ونشكر لهذا الصوت شجاعته وجرأته وصموده نعود الى نخمتنا القديمة ونتهمه ونشكك بصدق عروبتة وفلسطينيته.

جميل جدا ان نطالب عرب الداخل بالامتناع عن دخول المعترك السياسي في "اسرائيل". إنه لحق مطلق اعتبار هذا الدخول اعترافا بها. ولكن ماذا يستطيع المواطن الذي ولد وترى وذاق مر التمييز العنصري دون أن يرى على مدى نصف قرن ويزيد بارقة أمل واحدة تلتهم في سماء إخوانه المقيمين على التخوم؟! . . . جميل جدا أن نطالب هؤلاء المهمشين المقطوعين عن اوصالهم بالصمود, ولكن ماذا قدمنا لهم من مقومات هذا الصمود؟! . . .

سهل أن ندين نحن الراتعين في الغرف والمكاتب المكيفة في العواصم العربية والاجنبية وصعب أن نقدم البديل لأن "من يأكل العصي مش مثل اللي بيعدها".

نجمه حبيب

١٢ كانون الثاني ٢٠٠٣

عسكر الحوالة يبعث في بلاد الرافدين

يروى اجدادنا الذين عاصروا حرب السفربرك، من ضمن ما يرون، قصة عسكر الحوالة في الجيش العثماني التي كانت تجوب قرانا في بر الشام يقصدون بيوتها بحجة التفتيش عن السلاح ومصادرته. يدخلون بيوتا ما وبعد ان يعيبيهم البحث، وبعد ان ينقبون الدار والسطح والحقل ولا يجدون اي سلاح، يقولون لصاحب الدار نحن باقون هنا حتى تحضر السلاح (البارودة) التي في حوزتك. يبقون لايام وربما لاسابيع في ضيافة البيت يأكلون ويشربون ويقوم على خدمتهم اهل البيت، فيرى رب الدار أن افضل طريقة للتخلص من ضيافتهم الثقيلة التي تزهد رزقه وزاد عياله هي أن يبيع احدى بقراته ويشتري بثمانها بارودة يقدمها للفرقة المذكورة. وتقول الرواية أيضا ان عسكر الحوالة هؤلاء لم يكونوا ليكتفوا ببارودة واحدة عندما يكون رب البيت ميسورا فيقولون علمنا ان عندك اثنين او ثلاثة. . . يروي اجدادنا هذه الحوادث للتدليل على ظلم وتعسف الحاكم العثماني المستبد بمدنهم وقراهم. يروونها وفي قلوبهم غصة تظهر فوق سحناتهم كلما برزت الذكرى حتى بعد ان مر عليها عشرات العقود من عمر الزمن .

اليوم، وبعد مرور حوالي قرن على انقضاء عصر عسكر الحوالة، ها هم يعودون بوجه يتلاءم ومتطلبات العصر. فهم لا يأتون على الحمير والدواب ، ولا يتكلفون عناء السفر الطويل ولا يحملون فوق اكتافهم بواريدي ثقيلة ترهق كواهلهم، بل يأتون ببذلات أنيقة وربطات عنق منمقة وحقائب سامسوناييت فاخرة . وهم لا يكشرون عن انياب حادة ولا يظهرون بمظهر الشرس المتجبر بل يلبسون لباس النخوة والحمية ويغلفون ادعائاتهم بورق السولفان. فهم ليسوا إلا رسل الانسانية الخيرين هدفهم تخليص العالم من شروره، وهم لا غاية شخصية لهم سوى الائتثار بأوامر حامي حمى الديموقراطية وموزع صكوك الغفران ومحرر محاضر الضبط والادانة، الساهر على شؤون العالم وشجونه اب العالم الاكبر فخامة العم سام. . . إنهم المفتشون الدوليون.و الذين انتدبتهم الولايات المتحدة نيابة عن الامم المتحدة ليأتوا من العراق بأسلحته . فينزلون ضيوفا ثقالا على البلد المحاصر يأكلون زاد اهله وينتهكون حرمان بيوته ويعبثون بكرامات علمائه بحجة التفتيش عن السلاح النووي الذي لا يجدون له أي اثر ومع ذلك يطيلون التفتيش وتطول معه واجبات الضيافة من مسكن وماوى وعلاوات سفر. . ترى هل إذا ضاق العراق ذرعا بضيفه الثقيل هذا، يلجا الى ما لجأ اليه اجدادنا القرويين، قبل مئة عام، في بلاد الشام؟! . . .

نجمه حبيب

٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٣

إنها القوة العاجزة

ينتسم المشهد السياسي العربي بحالة عجز لا يختلف عليها اثنين وقد جاءت مجزرة غزة التي راح ضحيتها ١٣ شهيدا و٦٥ جريحا لترخي فوق عقولنا وقلوبنا غمامة من اليأس المهيض: فالاعلام عاجز والمتقفون غائبون او مغيبون، والمواطن العادي لاه بهومومه لا حول له ولا قوة والانظمة حدث ولا حرج. . . ومنتساءل نحن البعيدين عن الحدث , لماذا توقفت اخبار المظاهرات المؤيدة والاعتصامات المحتجة والبيانات المطالبة والتبرعات الداعمة؟ واين رست تلك الاندفاعة الشعبية حملة المقاطعة للبضائع الامريكية والاسرائيلية؟ هل خلت الساحة العربية من اي بارقة امل ام ان لهذه الفضائيات برنامج تبييسي مرسوم يقصد جرنا الى اعتقادات معينة؟

تصر هذه الفضائيات على بث برامج ومقابلات تروج لعدو قوي قادر متفوق لا مجال لقهره. هذه هي الصورة التي يريدون لنا ان نراها. ولكننا كمشاهدين بسطاء نستشف صورة مغايرة نقرأها في وجه شارون الذي يبدو على حد تعبيرنا القروي "مثل حجارة ملطوشة على راسها", وفي تعابير بوش غباوة مثلنا الشعبي: "نقول نيس يقول احلبوه". نقرأ في وجه الام المفجوعة التي تعض على جرحها وتتماسك ان النصر والهزيمة ليستا في الارقام الموجودة على ارض الواقع بل بعجز هذه الارقام من الوصول الى اهدافها الحقيقية. فنعلم ان العدو لم يصل الى هدفه رغم ما بذره من رعب وقتل وتجويع فهو لم يستطع إلغاء الكيان الفلسطيني: فشل في إخراجه من الجغرافيا الطبيعية كما فشل من قبل في اخراجه من الجغرافية البشرية.

لا, ليس الفلسطينيون ضحايا لا حول لهم, كما يراد لنا ان نراهم, بل هم المنتصرون الحقيقيون إذ انهم باصرارهم وضعوا عدوهم في مأزق حقيقي, فويله إن تراجع وويله ان استمر في حربه التي يخلق لها كل يوم اسما رنانا. فمن عملية (السور الواقى) الى عملية (الطريق الحازم) والحال على ما هي عليه, لم تتوقف الاعمال الاستشهادية ولا خف ايمان الناس بها بل ربما زاد, ويبدو أن الفلسطينيين لا يزالون رغم كل ما يتعرضون له, يؤمنون بان العمل المقاوم هو اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو. وان كل ما يقوم به من قتل واسر وتجويع تمحي قيمته بمجرد حدوث عملية استشهادية واحدة

نحن نقرأ, رغم ما ينفذ على شعبنا من مجازر, ان هذا العدو يتخبط باحتلاله واستيطانه وان حربه وحصاره وتفوقه العسكري ليس دليل انتصار بل هو دليل هزيمة. إنها هزيمة استراتيجاته جميعها: استراتيجية الاستيطان والاحتلال والترانسفير وما لف لفه. ان الاحتلال مهزوم والاستيطان مهزوم والمسألة مسألة وقت, قد يقصر او يطول إلا انه أت

نجمه

٢٧ كانون الثاني ٢٠٠٣

أبلغتني عزة

أبلغتني عزة , وهي بطلة إحدى قصصي, انها استغلّت انهماك اربيل شارون في انتخابات دولته الاخيرة وتسلمت بسرية مطلقة الى راسه. قبعّت في زاوية متأخرة من الجمجمة وحرصت على ان تظل هادئة كي لا تلتفت انتباه اي من بنات افكار الرجل. هالها أن ترى ذلك الذي حقق أكبر فوز انتخابي عرفته "دولته" قلقا ومضطربا ونومه متقطع مليء بالكوابيس. لم يكد يضع رأسه فوق المخدة المعطرة حتى هب كمن لدغته عقربا. كانت تلتصق في تلافيف دماغه حروف تتراقص بالوان زاهية كتلك التي تعرضها شاشات التلفزيون في برامج تعليم الاطفال. ثم لا تلبث هذه الحروف أن تجتمع مقهقهة هازئة لتؤلف كلمات كمثل "آيات" و"عبد الباسط" و"جمال" و"حسين" . . . وكان كلما حاول القبض عليها تعابثه حتى ليتهيأ له إنه على أهبة أن يطالها ولكنها لا تلبث ان تنزلق مرفرفة عالية عصية على المنال. . . قرر ان ينتقم من أهلها فراحت دباباته تهدم بيوت هؤلاء الاهلين حتى تسويها بالارض, إلا ان بيتا من الاجساد كان يستوي مكان بيت الحجارة المهدم لحظة مغادرة دباباته. وإذ يعيد هدمها تعود هذه البيوت الى الظهور. قال في نفسه: أذلهم في لقمة عيشهم. فراح يقطع شجر الزيتون. الزيتون على أقل تعديل متواطئ مع آيات وأحمد وعبدالباسط واهليهم وشاهد على رسوخهم منذ آلاف السنين فوق هذه الارض. أخذت دبابته تقتلع الاشجار وترميها ارضا, ألا أنه كان يرى, ان كل غصن طرح ارضا استقام من تلقاء ذاته وغاص عميقا في الارض ونبتت من التربة يد تحتضنه وعين تسقيه ماءها. . . رأته عزة يرتجف غضبا وهو يرى دماء الاطفال التي سالت إثر غارات طائراته تستحيل شقائق نعمان براقه زاهية تنبض بالحياة. . . جن جنونه إذ برزت له كوفية مرقطة, فتناولها ومزقها نتفا بنتفا بيديه واسنانه واطافره, وما إن نثرها أرضا حتى تطايرت وتمددت كل نتفة بحجم كوفية كاملة الى ان امتلأ المكان بملايين الكوفيات وتحت كل منها وجه يشبه وجه "أبو عمار" . . . ثارت ثأرته وهرول يسبقه كرشه يجمع الكوفيات ويشعل فيها النيران. إطمأن إذ رآها تستحيل رمادا. إلا أن زغردات وقهقهات انبعثت من كومة الرماد قبل ان يبترد. زغردات وقهقهات تقول: إنا هنا باقون كالجدار. من زاويتها المعتمة رأّت عزة الرجل يدور دورات هستيرية حتى يتعبه الدوران ثم لا يلبث أن يسقط ارضا وزبد ابيض يغطى طرفي فمه. . . سمعت حشرجة تخرج مع ذاك الزيد. لا فائدة من هؤلاء المجانين. لا فائدة من هؤلاء المجانين. لا راحة ولا ترانسفير, لا راحة ولا ترانسفير. . . خذوا فوزكم!. خذوا فوزكم, ابعده عني! . . . إنه امر من كل الخسارات.

تسلمت عزة على مهل قبل أن يؤب الرجل من إغمائه فيرمي بها في إحدى زناناته المعتمة

نجمه حبيب

٢ شباط ٢٠٠٣

إن الثورة تولد من رحم اليأس *

اعتذر اولاً عن استعمال لفظة "الثورة" التي ما ان نتداعى على المخيلة حتى يتداعى معها كل ما هو اليم ومؤسف ولا ثوريّ لكثرة ما علق في انيالها من تسلط دكتاتوريات وخنق حريات وامعان في الفقر وانتهاك للحقوق. أما الثورة المرجوة هنا انما هي ثورة دسبارتاكوس على العبودية وثورة المسيح في الهيكل وثورة النبي الكريم على أصنام مكة.

في هذه الحلقة الشديدة السواد حيث يأخذنا وزير الخارجية الامريكى بالجملة (شروة بلغة فلاحينا) دونما حاجة له الى التفصيل ولا الى ورقة توت كما في البروتوكولات السابقة فيعلن باستهتار ما بعده استهتار انه آت ليغير خارطة الشرق الاوسط وإعادة رسمها على هوى منافعه وطموحاته (بالمناسبة، فنحن بأكثريننا غير معجبين بهذه الخارطة فهي اصلا صنعة سايكس بيكو ومن لف لفهما). في هذا الزمن الذي بدت فيه امتنا منتهكة على مختلف الصعد المادية والمعنوية فتجتمع اكبر فعالياتها في شرم الشيخ ويزفون لنا نبأ عجزهم وافلاسهم ويعلنون بالفم الملآن انهم لا يستطيعون منع الحرب او تاجيلها وتقرر فعاليات اخرى ارسال قوات درع الجزيرة الى الكويت " للدفاع عنها" ، وفيما يستمر شارون في سياسته الحارقة المارقة، في زمن الاحباط هذا لم يبق لنا إلا التوجه بامالنا الى العنصر الاساسي لكياننا وديمومتنا عنيت به هذه القوة الكامنة في ضميرنا الجمعيّ. قوة لا يساندها نبط ولا موقع استراتيجي ولا مصالح مشتركة بين دولة اخرى. قوة لا تعتمد على حاكم ولا جار ولا صديق انما اعتمادها في المطلق على طاقتها الذاتية الكامنة في المواطن الفرد العادي البسيط الذي لا يتوخى اكثر من وطن كريم يؤمن له ولابنائهم تحقيق الهوية والكيان، مواطن لا يتواطأ إلا مع الشمس والارض والهواء لاسترجاع كرامته المهانة وحقه المسلوب على مختلف الصعد. هذه القوة، رغم تواضع امكانياتها المادية هي الامل الوحيد الذي تبقى لنا والذي سيمكننا من الوقوف في حلق التنين الاتي لبيتلنا ارضا وامة وكيانا بالجملة لا بالمفرق. . إنها المخزون الذي نخبئه لايام القحط والبرد والصقيع، إنه الجنين الذي حمل به في دياجير العتمة والشتات والضياع ايام كان رؤساؤنا يجتمعون ليعطوا اميركا جواز مرور يسهل عليها غزونا. إنه الطفل الاتي من رحم اليأس. الاتي على جناحي مقاومتين عزيزتين: اللبنانية والفلسطينية.

* هذه العبارة هي شعار رواية لغسان كنفاني بعنوان "الاعمى والاطرش"

نجمه حبيب

١٠ شباط ٢٠٠٣

كل تظاهرة والعالم بخير

مؤنسة كالرجاء مشرقة كالامل عاطرة كالمحبة جاءت تظاهرات نهاية الاسبوع. من شمال الكرة الارضية الى جنوبها ومن شرقها الى غربها اجمع المتظاهرون على مطلب واحد هو رفض الحرب على العراق. مئات الملايين تظاهروا فاحيوا الامل في مستقبل البشرية وبحضوا نظرية القائلين بصراع الحضارات وقالوا لفوكوياما انها حقا نهاية التاريخ, تاريخ امثالكم, وبداية فجر تاريخ جديد لا تحكمه فكرة صراع غرب وشرق ولا نظرية ضد اخرى بل تحسس المعاناة الانسانية بغض النظر عن اي عرق او لون او دين او حضارة. تاريخ تتضافر فيه القيم الانسانية الاصيلة ضد الزيف , ضد قوى الشر, لا على الطريقة البوشية بل على طريقة الحس الانساني المجرد عن اي هوى او طمع او طموح سلطوي. تظاهرات قسمت العالم الى نصفين لا على الطريقة البن لادنية ولكن على اعتبار ان العالم يرفض تقسيمه الى طبقتي اسيا وعبيد . لعلها المرة الاولى التي يجتمع فيها العالم من كل لون ودين وحضارة وقومية على هدف واحد هو درء البلاء عن بلد صغير كالعراق لا حيا بنظامه ولا خوفا من اسلحته بل دفاعا عن انسانه وتحسسا لالام شعبه. لعلها البادرة الانقى في عمر البشرية المليء بالشوايب واكبت هذه التظاهرات حملة الدروع البشرية التي جاءت من كل انحاء اوربا واميركا الشمالية لتقف الى جانب العراقيين في محنتهم واجتمع في بغداد أهالي واقارب ضحايا ١١ سبتمبر ليتقاسموا واهالي ضحايا ملجأ العامرية الذي قصفته القوات الامريكية عام ١٩٩١ الحزن والاسى. لقد قالوا بالفم الملآن ان دماء الابرياء التي سالت في ملجأ العامرية ليست اقل قيمة ولا هي ارحس من دماء ضحايا ١١ سبتمبر في بروكسل تخطل المحكمة الدولية كل الضغوط التي مارستها الصهيونية العالمية واعلنت عن تقديم اربيل شارون للمحاكمة بتهمة ارتكاب مجزرتي صبرا وشاتيلا. وفي مجلس الامن تجرأ بليكس والبرادعي على العجرفة البوشية وقالوا ما لا يريد لهما ان يقوله

كم من الاشارات مرت خلال نهاية هذا الاسبوع الذي يصادف فيه عيد الحب ! ... اقل هذه الاشارات ان العالم سائر الى منحى جديد, الى تاريخ لا يكتبه المتجبرون المتسلطون هذه المرة بل الناس البسطاء الذين اعتبرهم رئيس وزراءنا "الاشم" جون هاورد "رعاعا". اناس ادركوا ان هموم البشر وآمالهم كانت واحدة قبل ان تبلى بتصارع الديانات والطوائف والاعراق والطبقات. تظاهرات فيها من الثورة المسالمة اكثر مما فيها من التظاهر, وسواء افلحت في ثني البوشيين عن غيهم او لم تفلح فان عيد الحب من الان وصاعدا سيحمل الى جانب معانيه الرقيقة المتداولة معان اخرى اعمق واشمل واكثر دلالة.

نجمه حبيب

١٧ شباط ٢٠٠٣

لو دجنت الانتفاضة

تساءل احد المعلقين في صحيفة الانديبيندنت البريطانية هل ان العسكريةتارية الاسرائيلية تستغل فرصة انهماك العالم بالحرب على العراق فتحرق وتهدم وتقتل وتجتاح وتشرذ دون رقيب او حسيب؟
مؤثر ونبييل ان يكون هنالك في الطرف الاخر من العالم من يتحسس الماساة الفلسطينية ويوليها شيئا من اهتمامه في هذه الزحمة المجنونة من التقارير والقرارات المتضاربة التي تستعجل او تتريث في بدء الحرب على العراق . فلو ان العالم كان اقل انشغالا عما هو عليه اليوم لكان التفت, إعلاميا على الاقل, الى ما يجري في فلسطين, ولكانت منظمات حقوق الانسان اعترضت على ما تقوم به العسكريةتارية الاسرائيلية من قتل وهمم وتشريد للعزل المدنيين, ولكانت بعض وسائل الاعلام بينت ان ما يجري في فلسطين لم يات ردا على عملية فدائية او اي هجوم لرجال مسلحين داخل اراضي ٤٨, وكان اهل العدل لاحظوا ان شوارع حيفا ويافا وتل ابيب ترفل بهدوء مطمئن منذ شهر وممع ذلك فالعنف والاجتياح لم ينحسر بل ازاد شراسة وعنجهية. إذ انه خلال الاسبوع الماضي فقط سقط حوالي اربعين ضحية معظمهم مواطنين عادين غير مسلحين: اطفال وطلاب مدارس وافراد شرطة وعاملي دفاع مدني. . . وبحقد غامر قامت الدبابات بهدم المنازل وتتبع طائرات الهوليكوبتر المستكينين في بيوتهم والطلاب في مدارسهم والساعين الى رزق عيالهم في ورش عملهم. وبنفس العنجهية السابقة هوجمت المناطق السكنية وفرض الحصار والاحتلال على قرى ومدن كيبب حانون وغيرها, وزيد على ذلك ما تسرب الى وسائل الاعلام من تقطيع وتشويه لجثث الضحايا الغريب في الامر ان الادعاءات الصهيونية في ان عملياتها في الضفة والقطاع انما هي رد على العمليات الاستشهادية التي تستهدف المدنيين اثبتت كذبها الفاضح, وممع ذلك لا نزال نسمع من قبل بعضنا من يدعو الى وقف عسكرة الانتفاضة. ومن لا يزال يعتقد ان هذه العسكرة هي المسؤولة عن كل ما يلحق اهلنا في فلسطين من اذى اسرائيلي على مختلف الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ترى ماذا يتبقى لنا إذا ما تم ذلك التوقف؟! . . . أخارطة طريق جديدة أكثر إجحافا من الحالية؟ ام ترانسفير بالتراضي او مصالحة عشائرية نتنازل فيها عن دية قتالنا؟! . . .

نجمه حبيب

٢٥ شباط ٢٠٠٢